مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الحرب الروسية ـ الأوكرانية
وانعكاساتها على صياغة أنماط علاقات القوة الجيوسياسية في إطار النظام الدولي

د. عمار حميد ياسين

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

الحرب الروسية-الأوكرانية وانعكاساتها على صياغة أنماط علاقات القوة الجيوسياسية في إطار النظام الدولي

د. عمار حميد ياسين *

مدخل:

لا تتحدَّد انعكاسات الحرب الروسية–الأوكرانية في مجال الدولتين الجيوسياسي[1]**؛ ليؤثِّر على دول عديدة في المجالين المركزي والهامشي من بنية النظام العالمي في ظل تزايد معادلة التصعيد سواءً عبر تعزيز الزخم العسكري الروسي في الداخل الأوكراني؛ أم إمداد الولايات المتحدة الأمريكية، ودول الناتو لأوكرانيا بالأسلحة والآليات العسكرية، وتتابع التهديدات بالرد القاسي بالعقوبات الاقتصادية من جهة الدول الأوربية، لذا تعرض هذه التطورات بعض الأسئلة حول مدى علاقتها بالتحولات في صياغة أنماط علاقات القوة الجيوسياسية على مستوى النظام الدولي، وعوامل تصاعد الأزمة، ومواقف القوى الفاعلة فيها. نقلت روسيا مسار الصراع –في ظل هذه التطورات– حول أوكرانيا، وهو الصراع الذي قد يعيد رسم خارطة القارة الأوربية مرة أخرى، ويقلِّب جهود الولايات المتحدة الأمريكية؛ لتحقيق الاستقرار في علاقتها بروسيا، نظراً لتزايد ثقة موسكو سياسياً واقتصادياً من أجل استعادة دورها الريادي.

خريطة الصراع:

تُظهر خريطة الصراع ما بين الناتو وروسيا أنَّ الساحة الأوكرانية سوف تصبح مجالاً للصِّدَام المباشر بينهما لا سيَّما في ظل وجود رغبة روسية؛ لوضع كوابح ضد توسُّع الناتو باتجاه المجالات الجيوبوليتكية الحيوية الروسية، والذي طال معظم دول أوروبا الشرقية، لا سيَّما بعد العام 1997، هذا من جانب، ومن جانب آخر، تدرك أوروبا أهمية التشابك الاقتصادي مع روسيا، لا سيَّما في مجال إمدادات الطاقة، إذ تستورد أوروبا قرابة (40%) من احتياجاتها من الغاز من روسيا، لذا تلقي سياسات الطاقة الروسية بظلالها على الداخل الأوربي الذي يحاول المواءَمة بين احتياجاته

1** .مصطلح يعني تحليل التأثيرات الجغرافية على علاقات القوة في العلاقات الدولية. صاغه السويدي (رودولف كيلين) في بداية القرن العشرين، وانتشر استخدامه في جميع أنحاء أوروبا في المدَّة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (1939–1918)، ودخل حيِّز الاستخدام في جميع أنحاء العالم في المدَّة الأخيرة في الخطاب المعاصر.

* أستاذ العلاقات الدولية المساعد في كلية العلم والسياسية جامعة بغداد.

وحاجة أوكرانيا الاقتصادية؛ لأنَّها لم تعد ممر العبور الوحيد لأنابيب الغاز الروسي إلى أوروبا في ظل وجود نورد ستريم (2-1) عبر بحر البلطيق مباشرة إلى ألمانيا[2].

ومع التهديدات الأمريكية لروسيا؛ إلا أنَّ عديداً من المراقبين رأوا أنَّ الموقف الأمريكي الحقيقي من الصراع ليس منع الغزو الروسي لأوكرانيا؛ لأسباب تتعلَّق برغبة الإدارة الأمريكية في تأزيم روسيا، واستنزافها مالياً، ومفاقمة مشكلاتها الاقتصادية، وتعطيل دخول خط (نورد ستريم 2) لنقل الغاز إلى ألمانيا؛ لأنَّه سيمنح روسيا نفوذاً أكبر في القارة الأوربية، وربَّما تحقِّق الهدف الأمريكي بإعلان ألمانيا إيقاف إجراءات ترخيص خط الغاز الروسي (نورد ستريم 2)، وفرض عديد من العواصم الغربية عقوباتٍ ضد موسكو، لا سيَّما بريطانيا، وأستراليا، وكندا، وغيرها.

يظهر الصراع الدولي على أوكرانيا حِدَّة الصراع بين القوى المهيمنة التي ترغب في إنهاء الهيمنة الأحادية الأمريكية، والتحوُّل نحو نظام اللاقطبية، لذا يرى بعضهم أنَّ هذه الأزمة تشكِّل مفترقاً في توازن القوى الدولي القائم، فضلاً عن أنَّ اندلا ع صراع مفتوح قد يكون بمنزلة حرب عالمية ثالثة تضع العالم أمام تحديات كارثية؛ لا سيَّما في ظل معادلة الحشد العسكري، والذي يُعيد إلى الذاكرة أجواء الحرب الباردة. إذ يتضح من طبيعة هذه المواقف أنَّ الحرب الأوكرانية والتصعيد الروسي ضد أوكرانيا يرتبط بصراع جيوسياسي واسع على مناطق القوة والنفوذ والمجالات الحيوية، وتنافس تجاري دولي محتدم على النفط، والغاز، ومسارات التجارة الدولية وخطوطها بين أقطاب إستراتيجية دولية تتجاوز أوكرانيا، إذ يأتي الصراع ضمن إطار التحولات الدولية الراهنة والصراعات على مناطق القوة والنفوذ المكانة الدولية بين القوى الدولية المؤثرة في القضايا والشؤون الدولية، ويبقى بِلا شك أنَّ الصراع بين القوى الدولية هو أحد الركائز الممكنة لتفسير الأزمة الأوكرانية، وإن كانت الشرارات تمسُّ الإشكاليات الإقليمية والجيوسياسية؛ إلا أنَّ ميزان القوى الدولي، وتحولات النظام العالمي في الوقت الراهن هي دوافع ما يحاك خلف الستار من خطط إستراتيجية، سواءً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل احتواء روسيا الاتحادية أو من قبل روسيا من جهة رغبتها في إعادة تشكيل النظام الدولي؛ بهدف فرض هيمنتها على فضائها الحيوي[3].

2.عمار حميد ياسين، الحرب الروسية- الأوكرانية وأثرها على بيعة تحولات مداخل علاقات القوة الجيوسياسية في النظام الدولي، ورقة ندوة علمية، فرع الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية، 2022.

3.بول ديفيس،وبيتر ويلسون،توقفات وشيكة في الإستراتيجية العسكرية الأمريكية والتخطيط الدفاعي الأمريكي: المفاهيم المتصادمة للثورة في الشؤون العسكرية تستلزم إستراتيجية جديدة، مؤسسة راند،سانتا مونيكا، كاليفورنيا، 2011.

وفي الصدد نفسه، يرى (ستيفن ميتز) من الكلية الحربية الأمريكية يرى: بأنَّ روسيا الاتحادية تشن حرباً غير مقيدة في أوروبا الشرقية، وأنَّ الولايات المتحدة الأمريكية المقيدة بنمط التفكير الخطي، والنماذج البالية للحدود الفاصلة هي عرضة بصورة خاصة، للتدابير ما دون الحربية التي تتسم بالعدائية، والتي كان الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) على أتمّ استعدادٍ لاتخاذها في كلٍّ من جزيرة شبة القرم، وشرق أوكرانيا[4].

ولقد أشار (رونالد رومان) مدير قسم تحليلات الأمن القومي بجامعة (جون هوبكنز) إلى أنَّ السمة الرئيسة للحرب غير المقيدة هي الاستخدام غير المقيد للتدابير، وليس للإستراتيجيات، أو للأهداف غير المقيدة[5].

واتساقاً مع ذلك، فإنَّ الاتجاهات الحديثة في إطار نظرية الحرب تبرز لنا طبيعة العلاقة بين مقاربة الواقع المتغير، والتنظير المفاهيمي في حقل العلاقات الدولية، فعديد من الحروب التي شهدها النظام الدولي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة تعكس حدوث تغيُّر في أنماط الحروب وأسبابها، ومن هنا فإنَّ تحليل ذلك التغيير يكون على مستويين[6]:

4.بول ديفيس،وبيتر ويلسون، مصدر ذُكِر سابقاً.

5. رونالد رومان، منتدى الحرب غير المقيدة: إجراءات لمكافحة تهديد الحرب غير المقيدة–الإرهاب والموارد والاقتصاد والفضاء الالكتروني، ماريلاند، جامعة جون هوبكنز، 2009، ص 2.

6.علياء محمود الليثي، الاتجاهات الحديثة في نظرية الحروب مع التطبيق على الحرب الأمريكية في أفغانستان 2001-2014، قسم العلوم السياسية والإدارة العامة، القاهرة، د.ت، ص 14.وكذلك ينظر محمد يونس يحيى الصائغ، أسانيد الولايات المتحدة بشأن الحرب الاستباقية، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد(11)، العدد(40)، 2009، ص ص 249-248

1. المستوى النظري والذي يتمحور في جزء منه حول الحوارات الكبرى لعلم العلاقات الدولية (الواقعية، والليبرالية، والبنائية، والنقدية).

2. المستوى التطبيقي، ويركّز على التطبيق في الحرب الروسية–الأوكرانية، إذ استغلت إدارة الرئيس (بوتين)، ووظّفت تدابير الحرب غير المقيَّدة، والخاصة بالتدابير ما دون الحربية؛ بهدف تحقيق غايات إستراتيجية محددة في أوكرانيا.

بعد تفجر الأزمة الأوكرانية أواخر عام 2013، والتدخُّل العسكري لروسيا الاتحادية في شبة جزيرة القرم في آذار عام 2014، أدركت الدول الأوربية أنَّ روسيا الاتحادية لم تعد تفرض تحديات أمنية على سلامة الحدود لأوروبا فحسب، بل فرضت تحديات على بيئتها الأمنية الداخلية أيضاً، إذ عبَّر السلوك الروسي على الاستعداد التام؛ لتوظيف القوة من أجل تغيير الحدود الإقليمية القائمة إذا ما تطلبت ضرورات مصلحتها القومية ذلك، لذا أثيرت تساؤلات متعددة حول إمكانية الاعتداء الروسي على دول أوروبا في المستقبل المنظور[7].

معادلة الضغط المتكافئ:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية في إطار الحرب الروسية–الأوكرانية إلى توظيف معادلة الضغط المتكافئ على روسيا في مناطق أخرى من العالم، فهي تريد إبعادها من الشرق الأوسط، ولا سيَّما من سوريا، كما أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى كسب أوكرانيا، وهو ما يعزِّز قدراتها في آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية، وتسعى الولايات المتحدة –عن طريق أوكرانيا– للضغط على روسيا الاتحادية؛ لإنهاء شراكتها، وتعاونها مع الصين؛ إذ أصبحت الصين قوة اقتصادية كبيرة، ومنافس مستقبلي لها، إذ إنَّ الصين ساعية إلى غزو الأسواق العالمية، ولا سيَّما في أوروبا الغربية، وآسيا، وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ضمن إطار مبادرة حزام واحد وطريق واحد، لذا فإنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تخشى من توسع التعاون الصيني– الروسي، وتأثيره على أمنها القومي، وهو ما دفعها إلى تحفيز إحداث مواجهة عسكرية مباشرة بين روسيا وأوكرانيا؛ من أجل إضعاف روسيا، واستنزاف قدراتها داخل العمق الأوكراني، إلا أنَّ عديداً من المراقبين رأوا أنَّ الموقف الأمريكي الحقيقي من الصراع ليس منع الغزو الروسي لأوكرانيا؛ لأسبابٍ تتعلَّق برغبة الإدارة الأمريكية في تأزيم روسيا، واستنزافها مالياً، ومفاقمة مشكلاتها الاقتصادية، وتعطيل دخول خط (نورد ستريم 2) لنقل

7. أف ستيفن لارابي، وستيفاني بيزارد، وأندرو رادين، روسيا والغرب بعد الأزمة الأوكرانية (أوجه الضعف الأوربية جراء الضغوط الروسية)، سانتا مونيكا، مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2017، ص 16.

الغاز إلى الخدمة الفعلية في ألمانيا، لأنَّه سيمنح روسيا نفوذاً أكبر في القارة الأوروبية، وبالمقابل فإنَّ روسيا في حوزتها أوراقاً رابحةً أبرزها الغاز المصدَّر إلى الدول الأوروبية، وصعوبة إيجاد بدائل طاقوية، فلن تستطيع واشنطن والدوحة وطهران في حالة إنجاز الاتفاق النووي بالنسبة للأخيرة من تأمين كميات الغاز المطلوبة في حال قررت روسيا وقف إمدادات الغاز لأوروبا، فضلاً عن اعتبارات تتعلَّق بصعوبة تحويل البنية التحتية الأوربية إلى بنية يمكنها استيعاب الغاز المسال بدلاً من الغاز الخام، وعامل التكلفة العالي لنقل الغاز من مصادر بديلة أخرى[8].

تجري الحرب الروسية الأوكرانية في إطار مرحلة حذرة شديدة التعقيد فيما يتعلَّق بتطور النظام العالمي، إذ إنَّ هناك تحوُّل عميق، ومتسارع في هيكل توزيع القدرات الاقتصادية والعسكرية وأنماط التفاعلات بين القوى الرئيسة في النظام، ومن هنا يمكن تصوُّر مجموعة المصالح الصينية المهمة، والتي مثَّلت بدورها محددات رئيسة في معادلة الحسابات الصينية حيال الحرب الروسية– الأوكرانية:

- المصلحة الأولى، تتعلَّق بالعمل على تعزيز دور الأزمة في تسريع عملية الانتقال داخل النظام الدولي باتجاه نظام اللاقطبية وهو يُعدُّ هدف صيني–روسي مشترك.
- المصلحة الثانية تأكيد انكشاف الأمن الأوربي، وفعالية العلاقات الأمنية الدفاعية الأوربية الأمريكية ليس فقط إمام دول أوروبا الشرقية، ولكن أمام حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا الغربية، فضلاً عن كشف النخبة الحاكمة في أوكرانيا عدم فعالية ارتباطاتها الخارجية سواءً بالناتو أم بمنظومة الأمن الأوربي[9].
- تتمثَّل المصلحة الثالثة في توظيف الأزمة لتوصيل رسائل واضحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وللنخبة الحاكمة في تايوان بأنَّه حينما يتعلَّق الأمر بقضايا الأمن القومي فإنَّ حسابات الدول لا تتسم بالمرونة، ولا تخضع للمساومات، وفي هذا إشارة واضحة إلى قضية تايوان بوصفها قضية أمن قومي للصين، فضلاً عن كشف خطورة التحالفات الأمنية وخطورة التفكير بعقلية الحرب الباردة، لا سيَّما بعد اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى إحياء

8. حمد جاسم محمد، هدف الولايات المتحدة الأمريكية من تأجيج الصراع بين روسيا وأوكرانيا، مركز الدراسات الإستراتيجية، جامعة كربلاء، الموقع على الرابط http://Kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2021/04/07

9. Brussels summit communiqué, Issued by the heads of state and government participating in the meeting of the north Atlantic council in Brussels, 14 June, 2021

أ. تحالف (Quad)[10]*

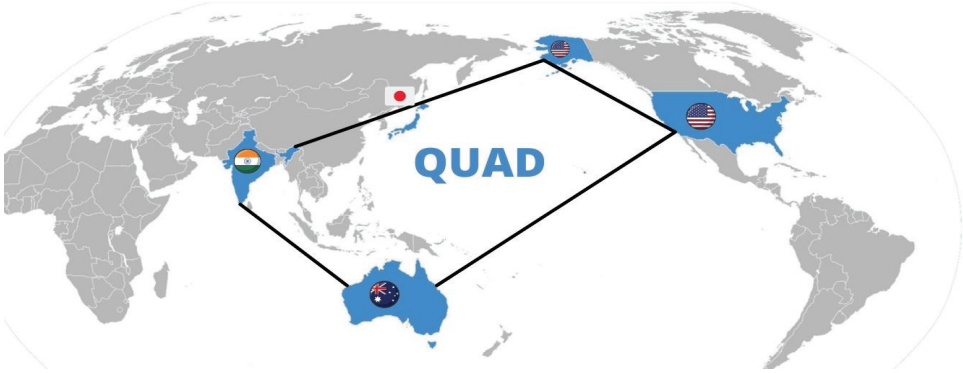

ب. ثم اتفاقية (AUKUS) [11]**

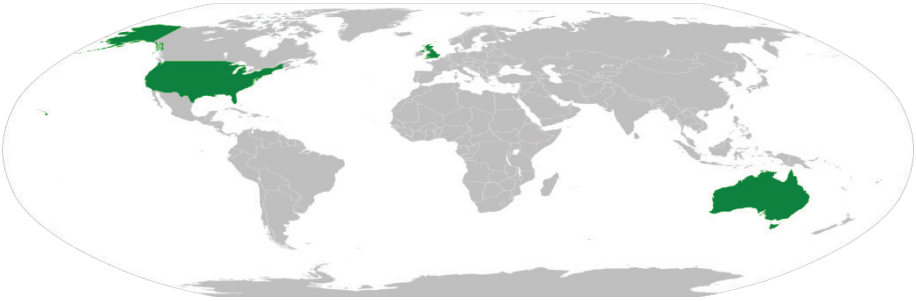

التي تستهدف احتواء الصين، وإجهاض مشروع الصعود الصيني[129].

10.* حوار إستراتيجي غير رسمي بين الولايات المتحدة واليابان وأستراليا والهند يتمثَّل بالمحادثات بين الدول الأعضاء. بدأ الحوار في عام 2007 من قبل رئيس وزراء اليابان شينزو آبي، بدعم من نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ورئيس وزراء أستراليا جون هوارد ورئيس وزراء الهند مانموهان سينغ. توازى الحوار مع المناورات الحربية المشتركة على نطاق غير مسبوق، التي سميت مناورات مليبار. عُدَّتِ الترتيبات الدبلوماسية والعسكرية واسعة النطاق رد فعل على زيادة القوة الاقتصادية والعسكرية الصينية، واستجابت الحكومة الصينية للحوار الرباعي بإصدار احتجاجات دبلوماسية رسمية على أعضائه.

11.** اتفاقية أمنية ثلاثية بين أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

12. Ibid.

الخاتمة.

قد تلجأ روسيا والغرب –مع كلِّ ما تقدَّم– إلى التفاوض، ولكنَّه سيكون تفاوضاً على نزع فتيل الأزمة الحادة عبر الاتفاق على تهدئة على قضايا آنية، ولكن المشكلة الجوهرية الجيوبوليتكية الراسخة في مفاهيم ومدركات الطرفين الروسي والغربي لن تجد حلاً تفاوضياً؛ لأنَّها مشكلة تتعلَّق بالجغرافيا الثابتة التي تُعدُّ محورية في السلوك السياسي الخارجي للأطراف الفاعلة في إدارة الحرب في أوكرانيا، وانعكاساتها المستقبلية على أنساق النظام الدولي.